جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة : www.muthuruk.com
BM-Publisher

تأثير فلسفة هربرت سبنسر التربوية في الفكر الاميركي

نسرين خليل حسين *

معلومات المقالة

تاريخ المقالة:
الاستلام: 2018/1/7
تاريخ التعديل : 2018/2/28
قبول النشر: 2018 /3/6
متوفر على النت:2018/10/16

الكلمات المفتاحية :
فلسفة التربية
سبنسر
الفكر الامريكي

الملخص

لم يقتصر حدود تأثير فلسفة سبنسر التربوية والأخلاقية على فكر بلاده بريطانيا، أنما وصل تأثيره الى أمريكيا . لذلك جاء هدف بحثنا هو لتبين أثر سبنسر الواضح على الفكر الامريكي ، ولبغية الوصول الى الهدف ، سار البحث على النحو الآتي :

ففي المبحث الأول خصص عن تأثير فلسفة سبنسر التربوية عند المفكرين الأمريكيين ، اما المبحث فعني بدراسة تأثير فلسفة سبنسر التربوية غلى الفلسفة البرجماتية .

© جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2018

المقدمة

نظرية التطور السبنسرية لها اهمية وتأثير على تفكير الانسان الامريكي وعقله ، ويرجع الى" انها غيرت، وعلى نحو جذري وكامل صورة الانسان التقليدية ومكانتهِ. وتتمثل الأهمية الأساس لنظرية التطور أيضاً في انها أدخلت عامل الزمن او عنصر التاريخ كعملية تغير ارتقائية مُطردة في مجال العلم، وبذلك انهت تماماً التقليد الموروث عن العصور الوسطى وعن الاغريق، الذي اخذوه بدورهم عن المعتقدات الميتافيزيقية، وهو المفهوم الذي يتحدث عن حقائق خالدة، وانواع ثابتة ووجود استايكي(الثابت)، سواء على مستوى الطبيعة أم المجتمع والإنسان، ونظر الى العقل من منظور جديد هو منظور التطور والتغير في التفاعل مع الواقع، فلم يعد العقل ملكة ميتافيزيقية. وجعلت للعقل أو الوعي هنا دوره في توجيه عملية التفاعل بين الكائن الحي والبيئة والذي يتجسد في حالة التطور "[1].

لذلك حققت نظرية سبنسر التطورية والتقدمية رواجاً كبيراً في الولايات المتحدة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر حتى إنَّ أحد الكُتّاب الأميركان يدعى(بيري ميللر) أبدى ملاحظة، فقال" قد لا يكون من الاسراف ان نقول أن معظم الفكر الاميركي خلال هذه الفترة بالقياس الى ما سطرته الكتب والنشرات المطبوعة، لم يكن فكراً على الاطلاق بل تلخيص فقط لفكر سبنسر، ويذكر أن عدداً قليلاً من الاميركيين هم

*الناشر الرئيسي : E-mail : nasren@gmail.com

الذين قرؤا فكر داروين في كتبه الاصلية. وعرف أكثر القراء الدارونية من خلال ما نشر من دراسات عن افكار تطورية مثل افكار سبنسر. وكان الاميركيون حتى عام 1903 قد اشتروا قرابة 368755 مجلداً من أعمال سبنسر وحده" (2).

المبحث الأول: تأثير فلسفة سبنسر التربوية عند المفكرين الاميركيين:

إنَّ فلسفة سبنسر التفائلية، تتفق كثيراً مع افكار المفكرين الأميركان وأبرز وأهم متحدث أميركي عن النزعة التفائلية التطورية هو" جون فيسك "*(John Fisk) وكان هدفه يشبه الى حدٍ الى ما أراده سبنسر ألا وهو" توحيد كل المعرفة الى قانون كوني شامل ويصنف الظواهر الفيزيائية والبيولوجية والنفسية والاجتماعية تحت نسق واحد من القوانين يكفل في نفس الوقت التقدم الانساني "[3].

ويتفقُ فيسك، مع سبنسر في مسألة المجهول او المغلق أو الذي لايمكن معرفته، فقال "في مثل هذا الأمر المهم من الأفضل للإنسان أن يقتصر بالحديث عن نفسه"[4].

كما عدَّ" فيسك " اشهر تلاميذ سبنسر في اميركا وقد " طرح أشد أشكال أخلاق البقاء للاصلاح "[5]، وذهب الى أنَّ" التقدم والحس الاخلاقي عند الانسان وليد عملية التكيف المتصلة بين الفرد و الجماعة والبيئة، وأنَّ هذه العملية وتقدمها الثابت المستمر من التجانس الى التغاير خضعت لقوانين التطور"[6].

ومعنى ذلك أنَّ فيسك مثل سبنسر، قام بصياغة مبادئ أخلاقية تقدمية تقوم على نظرية التطور.

ونجد أيضاً من المتأثرين بنظرية سبنسر التطورية " وليم جراهام سُمنر*، أستاذ علم الاقتصاد والاجتماع في كلية "بيل". ففي سنة 1879 وجّه كلمة الى الجمهور قال فيها " إذا كنّا لا نرضى عن البقاء للأصلح، فأمامنا معادل واحد ممكن وهو البقاء لغير الأصلح. فالأول هو قانون الحضارة، والثاني هو قانون ضد الحضارة"[7].

وهناك مفكر آخر غير"سُمنر" و "فيسك" تأثر بـ"سبنسر" وهو" جابز لامار مونروكري"* وهو أشهر الشخصيات الأميركية في الجنوب، وكانت آراء " كري " التربوية مستمدة من آراء سبنسر التربوية، فآمن كري بأن وظيفة التربية هي" تمكين صاحبها من أن يطور قواه وان يحيا برفاه ورخاء. وكانت الحياة الكاملة تعني لديه المحافظة على الذات والابوة والمواطنة "[8].

كان كري يعتقد اعتقاداً يصل الى حد الوثوق بآراء سبنسر بما هو نافع في المدارس، فوضع تشديداً على " التعليم الصناعي في المدارس ابتغاء لزيادة التقدّم الاقتصادي للجماهير الجنوبية أسودها وأبيضها، ويجب تدريب الطالب على مهنة خاصة، وتزويدهم بعادات حسن التدبير الفردي، والمهارة والخبرة في استخدام المكائن مع القابلية على كسب اجور أفضل كعمال ماهرين "[9].

قلنا سابقاً إن سبنسر شدّدَ في التربية الاجتماعية على تربية الفرد بأنَّ له حقوقاً وحريات، ويجب على الفرد أن يدرك هذا الامر، ومن هذه الحقوق حق الفرد للتملك من دون ان يتعدى على املاك غيرهِ، فجاء كري جاعلاً من النظام الملكية الخاصة حقاً ضرورياً لأنَّ هذا الحق يعطي الفرد دافعاً للعمل بجد واجتهاد، فقال كري في هذا الأمر"جرّد الناس من حق التملك، فلن يبقى هناك أي دافع للعمل وراء الحد الأدنى المجرد اللازم للمحافظة على الحياة ومع اعتقادهِ في الحق غير القابل للتجريد لكل إنسان في الحمل وأتمَّ نمو عقلي واخلاقي"[10].

ومشى كري على خطى سبنسر في آرائه السياسية في نقده للاشتراكية والشيوعية، فقال" كري" " إنَّ الاشتراكية والشيوعية بقدر ما تعني اقسام الملكية – هي سخيفة واجرامية، ذلك أنَّ كل الحضارة الحقة ترتكز على حماية نظام الملكية "[11].

وايضاً صرّح كري قائلاً بأنَّ"ليس للحكومة أي شيء من الملكية او المرتبة او الرعاية الخاصة التي تستطيع أن تسبغها على العمل او على رأس المال. انها تستطيع تحمي فقط ما كان في حوزة الأفراد. ويجب على التربية ان تعمل على رد حقوق الناس الى الناس وان تضمن النصر للمبدأ الصحيح الوحيد للحكومة: لا أفضلية للشركات الموحدة أو المصالح الخاصة أو

DOI:10.18018/URUK/018-11/424-434

أية طبقة، ولا توسع في قوى الحكومة وصلاحيتها إلا عن طريق التعديلات الدستورية" [12].

من خلال قول كيري"عن الحكومة ودورها"، يمكن القول إنه وضع مشروعه التربوي وفقاً لمبادئ سبنسر في الحكومة المحدودة.

المبحث الثاني: تأثير فلسفة سبنسر التربوية على الفلسفة البراجماتية:

اما عن أثر سبنسر على الفلسفة البراجماتية، فيتضح عندما نتتبع ما قاله رواد الفلسفة البراجماتية، حيث نرى مقدار تأثيرهم بفلسفة سبنسر، فنجد بيرس(1839-1914) يطبّق نظرية البقاء للأصلح على الافكار، فالأفكار عند بيرس " مجموعة ما يمكن للإنسان أن يؤديه من أعمال مسترشداً بالكلمة أو العبارة وما ليس يهدي الى عمل معين فلا معنى له، فالأفكار إما أن تكون خطأً للسلوك العملي أو لا تكون شيئاً على الاطلاق، فإذا وجدت فكرة - مهما يكن أمرها لا تدل على انواع السلوك الذي تسلكه في عالم الواقع فاعلم أنها فكرة باطلة أو قل انها ليست شيئاً ولا يستثني" بيرس " من هذه القاعدة أي نوع من الافكار سواء أكانت هذه الافكار تأملية " عقلية " أم غيبية "ميتافيزيقية " [13].

فجميع المسائل التأملية والغيبية، ليست في نظر "بيرس" مشكلات حقيقية، بل هي مجرد كلمات لا معنى لها، لأنها لا ترسم سلوكاً، وكذلك لا تدخل في حدود الخبرة البشرية فعلاً أو مكاناً، فينبغي لها أن لا تكون من اهتمامات الإنسان. اما الافكار التي لها القدرة على البقاء فهي افكار صحيحة وصالحة.

فالمفهوم الذي يكون له معنى عند بيرس، إذا " أنتج موضوعه آثاراً تدخل في إطار الخبرة تحت ظروف نتحكم فيها وحدد معنى المفهوم على أساس فحص عادات السلوك التي يستلزمها الاعتقاد في الموضوع. ويكون المفهوم واضحاً إذا ما تيقنّا وتحققنا من النتائج التي تلزم عنه عندما نحدد شروط بحث موضوع تصورنا. و يتساءل بيرس " ما هو معنى وأهمية أي فكرة ما؟ " ويجيب " طريقة السلوك المتولدة عنها. وهو ما يعني أن الموضوع هو محتوى الخبرة ومضمونها، وأن قيمة الفكرة تكمن في نتائجها العملية والتي هي الإحساسات المباشرة فقط " [14].

إذاً يعتقد بيرس بأن " قوة الفرضية وصدقها هو استقرارها أو مطاولتها في البقاء، أي مدى إيماننا أو اعتقادنا بهذه الفرضية لأطول مدة من الزمن على أن تخضع هذه الفكرة لشروط المنهج العلمي حتى نؤمن وبصورة أكيدة بصدقها " [15].

اما وليم جيمس(1842-1915)، فقد طبق أيضاً نظرية البقاء للأصلح على الافكار، حيث صرح بأن" الحقيقي ليس سوى المطلوب النافع الموافق في سبيل تفكيرنا تماماً مثلما أن" الصحيح " ليس سوى المطلوب النافع في سبيل سلوكنا " [16].

وقال أيضاً أن" الأفكار الصحيحة هي تلك الافكار التي نستطيع هضمها وتمثيلها ودمغها بالمشروعية و تعزيزها وتوثيقها وإقامة الدليل عليها، والأفكار المخطئة هي تلك التي لا نستطيع ذلك معها " [17].

اما الفيلسوف جون ديوي(1859-1952)، هو من اكثر رواد البراجماتية تأثراً بنظرية سبنسر التطورية، فنظرته الى الطبيعية الإنسانية مبنية على التطور، فكان يرى أن الانسان كائن بيولوجي يستخدم ذكاءه في التكيف من اجل البقاء. كما طبق نظرية البقاء للأصلح على الافكار. فالفكرة الناجحة عند ديوي هي الفكرة الصحيحة التي" تتوافق مع الأحداث لأنها تحققت من خلال العمل والحالة للأشياء المدركة والمتخيلة لأنها نجحت " [18].

والفكرة الناجحة " الأداة التي بواسطتها يبنى الحدث، فالحدث هو نتيجة الفكرة " [19].

وهذه الافكار والادوات من انتاج العقل، كذلك عدَّ ديوي العقل " أداة لتطوير الحياة وتنميتها، فليس من وظيفة العقل أن يعرف، وليس من عمل الحقائق ان تظهر العقل بشكل يستطيع معه أن يعرفها، وإنما عمل العقل خدمة الحياة وتيسير السبل لها لكي تنمو " [20].

DOI:10.18018/URUK/018-11/424-434

ومن خلال ما قلناه، يمكن تلخيص قصة البراجماتية بأن هربرت سبنسر قال في كتابه المبادئ الاولى " إن الفكرة التي لا صورة لها في الذهن، تكون فكرة لا معنى لها في الواقع، ثم أتى بيرس فزعم أن الفكرة التي تقود الى العمل تكون فكرة صالحة وحقيقية، وتبعه وليم جيمس فزعم أن هذا العمل الذي يؤدي إليه الفكرة إنما هو البرهان القاطع ثم خرج ديوي بنظرية من الأصل في الفكر او العقل ليس المعرفة فليس العقل أداة للمعرفة وإنما أداة للحياة "[21].

والفلسفة البراجماتية تحمل في طياتها نزعة فردية، حيث اهتمت بالفرد ووضعته في المقام الأول، لأن الفرد يحمل الفكر المبدع، وصانع العمل وصاحب تطبيقه، لذلك قد يكون من أعظم معززات الفردية في الفلسفة البراجماتية هو تأثرها بنظرية التطور عند سبنسر لأن هذه النظرية تجعل الفرد كائناً فردياً يتصارع في الطبيعة ضمن امكانيته البيولوجية ليبقى على قيد الحياة، معتمداً في ذلك على المعرفة التي اكتسبها من خلال تجربته الذاتية في اثناء هذا الصراع.

ومن ابرز معالم الفردية عند البراجماتية، رفضهم وجود حقائق ثابتة، وجعلت من الانسان الفرد مصدراً للقيم والمعرفة ومعياراً للحكم للخير او الشر، فالقيم الاخلاقية عند البراجماتية نسبية لانها " تقاس على أساس رغبات البشر، فتتغير القيم تبعاً لرغباتهم، ومن ثمَّ تتغير استجابة للأحوال التاريخية الجديدة والديانات الجديدة، ومكتشفات العالم الجديدة، والتطورات الجديدة في التكنولوجيا، والوان التقدم في التربية وما الى ذلك "[22].

فقال جيمس بهذا الصدد:" إنَّ مصدر العلم الاخلاقي إنساني بحت، وذلك أن الانسان هو الكائن الخلقي الوحيد في العالم. ولذا فالمعقول أن يكون مصدر الخير والشر و الفضيلة والرذيلة، وان الانسان هو الخالق الوحيد للقيم في ذلك العلم وليس للأشياء من قيمة خلقية إلا باعتباره هو"[23].

ونجد ديوي يرفض أيضاً وجود حقائق ثابتة تكون"أعلى من الحقائق الجارية في الخبرة الانسانية والمستمدة من المشاهدات والتجارب وظل حياته كلها يدافع عن هذه النزعة التجريبية، ويطعن وجود حقائق ثابتة خارج انفسنا مهما تكن هذه الحقائق"[24].

والمعيار الذي اتخذه ديوي هو معيار نسبي متغير يعتمد على حالات فردية، وهذا ما أشار إليه ديوي بقوله:"إنَّ الحكم الاخلاقي جزئي متعين ونوعي فردي فذ، وعلى هذا أوجب أن تكون الاحكام التي نصدرها بشأن ما يجب أن نقوم به من أفعال نوعية، خاصة هي الاخرى"[25].

وفي موضوع آخر قال"إنَّ السلوك جميعه ينبع في جوهره وعلى الاطلاق من الغرائز والدوافع الفطرية"[26].

ومعنى ذلك ان القيم الاخلاقية عند الفلسفة البراجماتية من صنع الانسانية، كما هي عند سبنسر، لأن الاخلاق هي"أقرب المواد جميعاً الى الطبيعة الانسانية، وهي ليست لاهوتية ولا ميتافيزيقية ولا رياضية. والاخلاق لها علاقة مباشرة بالطبيعة البشرية تعيش وتعمل في البيئة، وهي لا تكون في هذه البيئة كما تكون النقود في الصندوق، ولكن كما يكون النبات في التربة وضوء الشمس، فهو منها مستمر مع طاقاتها، معتمد على مساعدتها، ولا يستطيع النمو إلا إذا استعملها. فالاخلاق ليست ميداناً منفصلاً ولكنها معرفة مادية بيولوجية تاريخية وضعت في محتوى إنساني حيث تضيء مناشط الانسان وترشدها"[27].

إذاً فالفلسفة البراجماتية جاءت كثورة على "الأخلاق والعادات السائدة واتسمت بالشك في التقاليد والنزوع المتزايد الى الفردية والايمان بأن التماس السعادة واللذة هما أساس معيار الأخلاق"[28].

وهذه الروح الثورية كانت واضحة المعالم عند الفلاسفة البراجماتيين، وجاءت نتيجة تأثرها بنظرية سبنسر التطورية، فالتغيير والصيرورة مبدأ أساس في فلسفة سبنسر، وجاءت البراجماتية فجعلت هذا المبدأ هو أساس فلسفتها.

لذلك أقرَّ ديوي بأن الفلسفة الجديدة هي الفلسفة التي تغير وتطور وتقدم العالم الذي نعيشه الى الافضل[29].

DOI:10.18018/URUK/018-11/424-434

لذلك قدّم لنا فلسفة جديدة للتربية تعتمد على مبادئ جديدة، و " أول هذه المبادئ هو التعرف على العالم المتطور الذي نعيش فيه بدلاً من الحقائق الثابتة التي كان من المفروض أن يقوم العالم عليها. والثاني أننا نعد الناشئة لحياة الراهنة ليخوضوا غمارها، لا لحياة في المستقبل مرسومة جاهزة، والثالث أن يكون التعليم تعبيراً عن الذات وتنمية للفرد، بدلاً من القسر الخارجي الذي يُفرض على التلاميذ فرضاً. والرابع أن تقوم التربية على النشاط لا على النظام الخارجي.وأخيراً أن يكون التعليم عن طريق الخبرة لا عن طريق الكتب والمتون والشروح والحفظ والتلقين"[30].

وعندما نقرأ هذا النص، نجد بصمات سبنسر واضحة على فلسفة ديوي التربوية، فالمبادئ التي قال عنها ديوي هي تشابه مبادئ سبنسر التربوية.

يرى سبنسر وديوي أن العملية التربوية هي عبارة عن عملية تطور ونمو طبيعي سواءاً عقلياً أو خلقياً أو جسدياً.

من أهم المبادئ التربوية التي نادى بها سبنسر كما قلنا هي تنمية روح الحرية في الطفل، وتأثر ديوي بمبدأ الحرية وجعله مبدأ أساساً في التربية.

والحرية من وجهة نظر ديوي هي" الفرصة التي يختبر بها الفرد كل الدوافع والمثيرات والميول ويجربها على عالم الاشياء والناس الذين يجد نفسه بينهم، يخبرها ويجربها لدرجة كافية تمكنه من أن يكتشف طبيعتها بحيث يستطيع أن يتخلص من تلك الدوافع الضارة، وأن ينمّي ويطور تلك الدوافع الأخرى التي تفيده وتفيد الآخرين"[31].

وشدد ديوي على تعويد الطلاب على الحرية، فهي " الى جانب كونها مفيدة فإنه بغيرها يستحيل على المدرس – من الناحية العملية – من ان يكشف طبيعة التلاميذ الحقيقية. واهميتها كوسيلة للإبقاء على الصحة الطبيعية العقلية والجسدية"[32].

وأيضاً للحرية فائدة مهمة وهي"تمكُن الفرد من اتخاذ قراراته المستقبلية بحرية واقتناع مسؤول" [33].

أخذت البراجماتية برأي سبنسر في ضرورة مراعاة الجانب النفسي للطالب وذلك عن طريق الاهتمام بميول التلاميذ ودوافعهم الطبيعية في التعليم، ونجد وليم جيمس يتابع سبنسر ويجعل من رغبات وميول الطالب لها أولوية في العملية التربوية، فنصح جيمس المعلمين بتقديم المواضع التي يهتم بها الطالب وتشوقه، لأن بقدر ما تكون المواضيع مهمة بقدر ما يتعلق الطفل بها. فيقول"فوائد الطفل الفطرية تلتقي جميعها في حقل الاحساس مواضيع جديدة للمشاهدة، واصوات جديدة للسمع، ومشهد صراع عنيف، هذه هي الامور الكفيلة دائماً بأشغال انتباهه عن آراء مجردة تطرق نفسه سماعياً" [34].

وربط جيمس بين الانتباه والرغبة، فالطالب لا ينتبه تلقائياً إلا مع الأشياء التي تتجاوب مع رغبته. لذلك وعى جيمس المعلمين للاعتماد على الانتباه التلقائي لأن"الانتباه الارادي بحد ذاته عملية وقتية. يمكنك ان تستحضره لتحقيق غايتك في الصف، وتحصل عليه إلا لبرهة قصيرة، إذ إن نفوس تلاميذك ستنصرف عن الموضوع من جديد. وإن أردت أن تركز الانتباه حيث شئت، فما عليك إلا أن تجعل الموضوع جذاباً حتى تتعلق به الانفس" [35].

وكذلك ديوي أخذ بمبدأ سبنسر في جعل التعليم أكثر اهتماماً بميول الطالب ورغباتهم، وأكد وجود استغلال الدوافع والميول الموجودة عند التلاميذ في جذب انتباههم ودفعهم الى النشاط الذاتي الخلاّق، فيقول ديوي: " فالاطفال جميعاً يرغبون في التعبير عن انفسهم باللون والشكل. فإذا أجزت الظهور لهذا الولع بسهولة، وذلك بالسماح للطفل بالانطلاق بصورة غير محددة فلا يحصل له من النمو إلا ما كان عرضياً . ولكن دع الطفل يعبّر أولاً عن الدوافع الذي في نفسه ثم ألفت انتباهه الى ما يصنع والى ما يحتاج الى صنعه بالنقد والاسئلة والاقتراحات فهنا ستكون النتيجة شيئاً مختلفاً تماماً " [36].

وسار ديوي على نهج سبنسر في معارضته للنظم التقليدية في التربية التي كانت تجعل الطفل آلة تستقبل المعلومات وتحفظها من دون أن يكون للطالب أي نشاط أو

DOI:10.18018/URUK/018-11/424-434

فاعلية، وجعل ديوي التعليم ليس شيئاً نُمليهِ على الاطفال بل هو عملية نمو لتلك القدرات التي خلقها الله فيهم، فيقول ديوي" ان النظام التقليدي في روحه نظام مفروض من سلطة عليا خارجه عن التلاميذ أنفسهم، وهو يفرض معايير البالغين ومادة دراستهم والطرق التي تلائمهم على اولئك الذين يسيرون سيراً بطيئاً نحو النضج ولما يبلغوه بعد، وإذ كانت الهوة سحيقة بين الطرفين لدرجة تجعل المادة الدراسية المطلوبة وطرق التعليم المتبعة وقواعد السلوك المفروضة لا تتناسب مع القدرات الحقيقية لاولئك المتعلمين الصغار" [37].

كما نرى ديوي يسير على مسار سبنسر في حرصه على تنمية قدرة الاطفال على التفكير الحر واستخدام ذكائه في حل المشكلات المستقبلية من دون إهمال متطلبات حياته الحاضرة وهنا يأتي دور التربية في مساعدة الطالب على قيادة نفسه من خلال تدريبه على"استخدام جميع قواه استخداماً كاملاً وان تكون عينه وأذنه ويده ادوات على استعداد للأمر، وان يكون عقله قادراً على إدراك الظروف التي سيعمل فيها" [38].

وللتربية دور مهم في جعل الطالب يستخدم ذكاءه بشكل يساعده على البقاء، وان نُعلّم الطفل أن الملكات العقلية والحواس التي خلقها الله فيه من اجل حمايتهِ من الاخطار" فالعين لم تخلق فيه لتدله على مواضع الخطر تحت قدميه فتنجبه المهالك، فالعين اداة للحياة وكذلك العقل سواء بسواء يستخدمها الانسان في المحافظة على الحياة " [39].

إذاً نرى أن الطريقة الصحيحة في التربية من وجهة نظر ديوي هي التي تساعد الطالب على إيقاظ قواه واستعداداته العقلية، ليكون انساناً يقود نفسه. وهذا الامر واضح في كتاب سبنسر في جزء التربية العقلية.

قلنا إن سبنسر اراد أن نجعل من الطفل مواطناً فعّالاً في المستقبل وله دور في تقدّم وتطوير مجتمعه، وهذا الامر لا يحدث إلا عن طريق التربية، فجاء ديوي بعده وجعل للتربية دوراً اجتماعياً من خلال إعداد الفرد عن طريق الخبرة ليكون عضواً اجتماعياً، لذلك يجب تغيير نظرة التعليم في المدارس، فالتعليم لابد من أن يكون " وسيلة تجديد التراث" بدلاً من النظرة التقليدية التي نظرت الى المدرسة على انها وسيلة " نقل " التراث من جيل الى جيل. وعنده أن وسيلة التجديد وضماناته هي تكوين افراد متحرري الذكاء متفردي الشخصية لديهم القدرة على الابداع والخلق والابتكار في المستقبل " [40].

وهذا يحدث من خلال تغيير المناهج الدراسية التقليدية الموجودة في المدارس آنذاك، لأن" التلف والضياع الكبير في التربية جاء من عجزه عن الانتفاع بما يكسب من الخبرات خارج محيط المدرسة انتفاعاً تاماً وحراً يجري داخل المدرسة نفسها وهو في الوقت نفسه يرى نفسه عاجزاً عن استعمال ما يتعلمه من المدرسة في حياته اليومية. وهذه هي عزلة المدرسة، إنها انعزال عن الحياة " [41].

تتفق آراء ديوي مع آراء سبنسر في ضرورة اتصال المناهج الدراسية بالحياة الواقعية والعملية، وأن يكون المنهج الدراسي مستمدا منها. لذلك نجد ديوي قام بانشاء مدرسة"أطلق عليها اسم المدرسة المعملية أو المختبرية أو التجريبية وسميت هكذا لأنها تضم معامل للطبيعة والكيمياء" [42].

على الرغم من أن ديوي رفض التركيز على قيمة مادة دراسية على حساب مادة أخرى ، وقرر تدريس الدروس الانسانية بجانب الدروس العلمية، ولانجعل هنالك فاصل بينهما، إلا أننا نرى ديوي يولي عناية كبيرة للمواد العلمية في منهجه اكثر من المواد الانسانية، وهذا الأمر واضح في كتابه"المدرسة والمجتمع"، فهناك كثير من النصوص يؤكد فيها وجوب تدريس مادة الرياضيات والجغرافيا والفيزياء، وبين ديوي فضائلها فقال عن مادة الجغرافيا:"إن في دراستها تتحقق وحدة العلوم وتتوجه نحو طبيعة الارض كالجبال والانهار والسهول والخطوط الطبيعية للسفر والتبادل والنباتات والحيوانات الخاصة بكل مستعمرة وكانت كل هذه مرتبطة برحلات الى الريف، عسى أن يستطيع الطفل الحصول على معلومات أولية Data مما يستطيع عليه من الملاحظة يستعملها في تخيل بنائي، وفي تصور محيطات بيئات أبعد" [43].

DOI:10.18018/URUK/018-11/424-434

كما أكد ديوي وجوب تدريس الرياضيات بنفسها، فقال"عند الرجوع الى محيطنا الاجتماعي، فالشبان يحتاجون الى التعرف على المصرف بوصفه عاملاً في الحياة الحديثة، وإن يعرفوا ما يؤدي من عمل وكيف يقام به، ومن ثم فإنَّ عمليات حساب مناسبة تكون ذات معنى له مغاير تماماً للأمثلة التي تستهلك الوقت وتقتل الذهن وهذه الامثلة الموجودة في النسبة المئوية ودفع أجور الاعمال ذات الوقت غير الكامل وغير ذلك مما هو موجود في كل دروس الحساب عندنا" [(44)].

وبذلك يمكن القول: إنَّ فلاسفة ومفكري الاميركان لم يهدفوا من التربية التفوق الدراسي او المحافظة على التراث القومي، إنما كان هدفهم هو" النمو " أي النمو المتكامل للطفل من " جسمي واخلاقي وعقلي " ليكون له قدرة على التكيف مع بيئته. وأيضاً لتكون له قدرة على الحفاظ على حياته وعلى أسرتهِ، وأن يكون له دور في تقدّم مجتمعه الى الأحسن.

الخاتمة

بعد ان بحثنا في تأثير فلسفة هربرت سبنسر التربوية في الفكر الاميركي ، أسطعنا الخروج بخلاصات تعد بمثابة خاتمة للبحث أهمها: أنه وصل تأثير هربرت سبنسر الى امريكيا وحققت نظريته التطورية التقدمية في التربية والأخلاق قبولا" و رواجا" كبيرا" جميع أنحاء الولايات وبخاصة فيما يتعلق بآرائه حول حرية وفردية الأنسان في المجتمع .

ومن أبرز المفكرين والفلاسفة الامريكان :

" جون فيسك " الذي يتفق كثيرا آرائه التطورية والتقدمية مع اراء سبنسر ، كما اعتبر فيسك من اشهر تلاميذ سبنسر في امريكا ، اما " وليم جراهام سمنر" فلقد أيد نظرية سبنسر التطورية وجعل من مقولة سبنسر " البقاء للأصلح " هي قانون الحضارة ، وأيضا صلطنا الضوء على " جابر لاما مونرو كري " الذي كان من مناصري آراء سبنسر التربوية حتى انه قام بتطبق آراء سبنسر على المدارس الموجودة في جنوب امريكيا .

اما الفلاسفة البراجماتين فكان لتأثير سبنسر على فلسفتهم تأثير واضح ، فنجد "بيرس" الذي طبق نظرية سبنسر البقاء للأصلح على الأفكار سواء " الأفكار التربوية والأخلاقية والأجتماعية فالفكرة الصحيحة هي التي لها القدرة على البقاء ، وايضا نرى أن" وليم جيمس " طبق نظرية سبنسر البقاء للأصلح ، أما الفيلسوف " جون ديوي" هو اكثر رواد البراجماتية تأثيرا بنظرية سبنسر التطورية والتربوية ، فنجد بصمات سبنسر التربوية واضحة على أراء ديوي التربوية .

المصادر

- انطوان الخوري، أعلام التربية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1964 .
- جورج. ف. نيلر، مدخل الى الفلسفة التربية، ترجمة: د. نظمي لوقا ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1971 .
- جون ديوي، الخبرة والتربية ، ترجمة: محمد رفعت رمضان وآخرون، مكتبة انجلو المصرية، القاهرة، ب.ت .
- جون ديوي، الديمقراطية والتربية ، ترجمة:نظمي لوقا، مكتبة الانجلو المصري، القاهرة، 1978 .
- جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ترجمة: محمد لبيب النجيحي، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1963 .
- جون ديوي، المبادئ الاخلاقية في التربية ، ترجمة: عبد الفتاح السيد هلال، مراجعة: د. احمد فؤاد الاهواني، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، ب.ت .
- جون ديوي، المدرسة والمجتمع ، ترجمة: د. احمد حسن الرحيم، مراجعة: د. محمد ناصر دار مكتبة الحياة، بغداد، 1964 .

DOI:10.18018/URUK/018-11/424-434

- جون ديوي، تجديد في الفلسفة ، ترجمة وتقديم: احمد الانصاري، مراجعة حسن حنفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1 ، 2010.
- جيرا ديلودال، الفلسفة الأميركية، ترجمة: د. جورج كتوره و د. الهام الشعراني، المنظمة العربية المتحدة، بيروت، ط1، 2009 .
- د.منتهى عبد جاسم، معيار العلم والاخلاق في الفلسفة البرجماتية، دار التنوير، بيروت، ط1 ، 2013.
- دافيدو. مارسيل، فلسفة التقدم، ترجمة: د. خالد المنصوري، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة .
- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1982.
- شوقي جلال، العقل الاميركي يفكر(من الحرية الفردية الى مسخ الكائنات)، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 2000.
- علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراجماتية، أصولها ومبادئها، مع دراسة تحليلية في فلسفة تشارلس ساندرس بيرس ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2008.
- محمود فهمي ويدان، وليم جيمس، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2005. احمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، دار المعارف، القاهرة، 1968.
- ميريل كيرتي، التربية والصراع الاجتماعي، ترجمة: د. محمد جواد رضا، مراجعة وتقديم: د. خالد الهاشمي، مكتبة النهضة، بغداد، 1962 .
- هبة عادل العزاوي،أضواء على فلسفات حديثة ومعاصرة ،دار الفراهيدي،بغداد ،ط1 ،2013.
- هربرت شنيدر، تاريخ الفلسفة الامريكية، ترجمة: د. محمد فتحي الشنيطي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964 .
- وليم جيمس، البراجماتية، ترجمة: محمد علي العريان، تقديم: زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، 2008 .

DOI:10.18018/URUK/018-11/424-434

الهوامش

(1) شوقي جلال، العقل الاميركي يفكر(من الحرية الفردية الى مسخ الكائنات)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص90.

(2) دافيدو. مارسيل، فلسفة التقدم، ترجمة: د. خالد المنصوري، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ص71.

* ولد في سنة 1842 ونشأ في بلدة ميديل تاون"Middle Town" بولاية كونيكتيان وتخرّج في جامعة هارفارد عام 1863. وكان منذ صباه قارئاً نهماً في العلوم والفلسفة واللاهوت. وبعد تخرّجه من الجامعة وممارسته القانون فترة قصيرة، قرر توجيه جهده للعمل على ترويج الاتجاهات الفكرية المعقدة. وعمل فترة محاضراً وأمين مكتبة بجامعة هارفارد واستاذاً غير متفرغ بجامعة واشنطن في سانت لويس، وترك فيسك وظيفة التدريس بجامعة هارفارد عام 1870، وعكف فيسك على الكتابة للصحف والدوريات، وألقى محاضرات عديدة وكتب عدداً لا حصر له من التعليقات على الكتب وصنع لنفسه أسماً خلال ثمانينات وتسعينات القرن التاسع عشر ككاتب ومؤلف لكتب التاريخ الأميركي. ومات في 4 أيلول 1901 بعد أن أصبح أشهر مؤرخ أمريكي". دافيدو. مارسيل، فلسفة التقدّم، ص75.

(3) المصدر نفسه، ص71 ، ص75.

(4) هربرت شنيدر، تاريخ الفلسفة الامريكية، ترجمة: د. محمد فتحي الشنيطي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964، ص260 .

(5) المصدر نفسه، ص262.

(6) دافيدو. مارسيل، فلسفة التقدم، ، ص80.

* ولد في 1840 ، وتوفي في 1910 وهو من اهم علماء الاجتماع الامريكيين، ترأس جمعية علم الاجتماع الاميركية.

https:\\ar.m.wikipedia.org>wiki 2016/4/7

(7) هربرت شنيدر، تاريخ الفلسفة الامريكية، ص260 ، ص261.

* ولد في مقاطعة لينكولن(1825-1903) من عائلة جنوبية بارزة، وبعد أن ترعرع على إحدى المزارع الكبرى في الاباما درس في جامعة جورجيا وتخرّج فيها عام 1843، وبعد أن نال شهادته من جامعة جورجيا ذهب لدراسة القانون في جامعة هارفرد، لقد كرّس حياتهِ بمجرد انتهاء الحرب لأعمال الكنيسة المعمدانية Baptist Church ولقضية التربية.وبوصفه رئيساً لكلية صغيرة في الاباما المفتوحة لكل الطوائف سافر كري صعداً ونزولاً في الجنوب يحاضر مبشراً بالتعليم الجامعي الذي كان يعتقده الطريقة الوحيدة التي يرجى منها أن تعيد بناء منطقة المهيضة المملقة. وفي محاولة إقناع التربية للسود كان كري يتقدم زمناً على الكثيرين من معاصريه. وتزوج سيدة غنية وبارزة في المجتمع، وصار يدرس الأدب والقانون في كلية ريجموند Richmond College، كما ظلّ يكتب ويتكلّم ويعمل لمصلحة كنيسة ومصلحة التربية حتى وفاته سنة 1903 ، 227-228، ينظر: ميريل كيرتي: التربية والصراع الاجتماعي.

(8) ميريل كيرتي، التربية والصراع الاجتماعي، ترجمة: د. محمد جواد رضا، مراجعة وتقديم: د. خالد الهاشمي، مكتبة النهضة، بغداد، 1962، ص230.

(9)المصدر نفسه ، ص230.

(10) المصدر نفسه ، ص239.

(11) ميريل كيرتي، التربية والصراع الاجتماعي ، ص230.

(12) المصدر نفسه ، ص240.

(13) زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1982، ص123.

(14) شوقي جلال، العقل الامريكي يفكر، ص120.

(15) علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراجماتية، أصولها ومبادئها، مع دراسة تحليلية في فلسفة تشارلس ساندرس بيرس، دار الكتب العلمية ، لبنان ،2008 ، ص61.

(16) وليم جيمس، البراجماتية، ترجمة: محمد علي العريان، تقديم: زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، 2008، ص262.

(17) المصدر نفسه، ص352.

(18) جيرا ديلودال، الفلسفة الأميركية، ترجمة: د. جورج كتوره و د. الهام الشعراني، المنظمة العربية المتحدة، بيروت، ط1، 2009، ص284.

(19) المصدر نفسه، ص284.

(20)يعقوب فام، البراجماتزم ،1985، ص156.

(21) المصدر نفسه، ص159.

(22) جورج. ف. نيلر، مدخل الى الفلسفة التربية، ترجمة: د. نظمي لوقا ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1971 ، ص34.

(23) محمود فهمي ويدان، وليم جيمس، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2005، ص114.

(24) احمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص38.

(25) جون ديوي، تجديد في الفلسفة ، ترجمة وتقديم: احمد الانصاري، مراجعة حسن حنفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1 ، 2010 ، ص154.

(26) جون ديوي، المبادئ الاخلاقية في التربية ، ترجمة: عبد الفتاح السيد هلال، مراجعة: د. احمد فؤاد الاهواني، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، ب.ت، ص52.

(27) جورج. ف. نيلر، مدخل الى الفلسفة التربية، ، ص15 ، ص16.

(28) د.منتهى عبد جاسم، معيار العلم والاخلاق في الفلسفة البرجماتية، دار التنوير، بيروت، ط1 ، 2013، ص122.

DOI:10.18018/URUK/018-11/424-434

(29) ينظر: جون ديوي، الخبرة والتربية ، ترجمة: محمد رفعت رمضان وآخرون، مكتبة انجلو المصرية، القاهرة، ب.ت ، ص11.

(30) المصدر نفسه، ص12 ، ص13.

(31) د.منتهى عبد جاسم، معيار العلم والاخلاق في الفلسفة البرجماتية، ، ص122.

(32) جون ديوي، الخبرة والتربية ، ص66- ص67.

(33) هبة عادل العزاوي، أضواء على فلسفات حديثة ومعاصرة، دارالفراهيدي ، بغداد، ط1، ص115.

(34) انطوان الخوري، أعلام التربية ،دار الكتاب اللبناني، بيروت ،1964، ص151.

(35) انطوان الخوري، أعلام التربية ، ص151.

(36) جون ديوي، المدرسة والمجتمع ، ترجمة: د. احمد حسن الرحيم، مراجعة: د. محمد ناصر دار مكتبة الحياة، بغداد، 1964 ، ص59.

(37) جون ديوي، الديمقراطية والتربية ، ص334.

(38) جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ترجمة: محمد لبيب النجيحي، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1963 ، ص159 ، ص160.

(39) يعقوب فام، البراجماتزم ، ص158.

(40) جون ديوي، الديمقراطية والتربية ، ترجمة:نظمي لوقا، مكتبة الانجلو المصري، القاهرة، 1978، ص335.

(41) جون ديوي، المدرسة والمجتمع ، ص85.

(42) هبة عادل العزاوي، أضواء على الفلسفات حديثة ومعاصرة ، ص102.

(43) جون ديوي، المدرسة والمجتمع ، ص110.

(44) المصدر نفسه ، ص85.

The Influence of Herbert Spencer's Educational Philosophy in American Thought

Summery

The limits of the influence of Herbert Spencer's Educational and Ethical Philosophy is not limited to the thought of its country Britain, but also reached to America. Therefore, our research target is to show the influence of Spencer on American thought, and to achieve the target, the research is prepared as follows:

In the first topic was devoted to the impact of the philosophy of Spencer educational at American thinkers, the second part is to study the impact of Spencer's educational philosophy on pragmatic philosophy.